أحببته كفيفا

ريم السيد أحمد المتولي- مصر

أذكر ذاك اليوم جيدا حين إلتقينا كان يوما بارد الطقس ملبد الغيوم وقد كان لدي امتحان مهم جدا يصعب عليّ التغيب عنه وفيها كانت الشوارع خالية من المواصلات العامة اضطررت ولأول مرة أن استقل سيارة الأجرة التي دائما ماتحذرني منها والدتي لكن لم يكن لدي خيار آخر ، ركبت في الكرسي الخلفي وقد دخل شاب وسيم طويل البنية خفيف اللحية بنفس اللحظة هو من باب وأنا من الآخر لنلتقي كلانا داخل السيارة ، وبما أن الجو سيء والوقت بدأ يمر سريعا فقد التزمت الهدوء ولم انتفض كعادتي وأذهب مسرعة حين أختلط بالرجال وقد كانت وجهتنا واحدة يبدو أنه طالب في سنواته الأخيرة ، كان هو ينظر إليّ بشدة حتى أن السائق انتبه فطلب منه أن ينزل ويركب إلى جانبه ...أجابه وهو لازال يحدق بي ...

=عفوا أخي السائق ... لكن من فضلك خذ بيدي فقد وقعت عصاي البيضاء ونظارتي السوداء ويبدو أنك لم تنتبه أني أعمى البصر

-أنا متأسف جدا جدا يا أستاذ .. لا تنزعج وابقى بمكانك..

شعرت حينها بالإرتياح ولكن أرهقني قلبي عليه ياله من مسكين ويال عائلته من جاحدين أن يتركوه هكذا دون شخصا يسنده أو يرافقه فكيف يذهب ويجيء هكذا ، نظرت إليه حينها بشدة والتقت عيني بعينيه الكفيفتين ووجهه الباسم

المشرق بالأمل تفاءلت به كثيرا حقا وسرعان ماتذكرت الإمتحان ففتحت أوراقي وبدأت أراجع قليلا ريثما نصل .

حين وصلت وهممت بالنزول طلب مني أن أساعده في النزول ترددت قليلا في البداية ثم تذكرت أنه لا يرى وهذا سيكون عمل خير سيسامحني الله عليه ، ساعدته حتى وصلنا إلى بوابة الجامعة الرئيسية ثم استأذنت منه لدخول كلا منا إلى وجهته حيث هناك بوابة لكل جنس قبض حينها على يدي بشدة فأفلتها منه سريعا وذهبت لأستعد للامتحان مع زميلاتي ...

=ريم ... مابك

-أنا ... لا شيء تهاني أنا بخير

=أمتأكدة !؟

-نعم ....نعم بخير (لا أدري ماذا أصابني فقد كانت قبضته على يدي غير عادية كنت أشعر حينها برجفة تسري في جسدي ينتابني شعور أني أود لقاءه من جديد اخترق قلبي منذ رأيته قبضته أوحت لي بالكثير لعله قصد أن يقول لا تتركيني وتوترت كثيرا حتى بدا ذلك عليّ)

=أتمنى أن يسألوني في الفصول الأولى من المنهج فلم أنتهي من الفصول الأخيرة

-الله يستر، أنا أرتبك جدا في الامتحانات الشفوية أتمنى أن يمر اليوم على خير .

ذهبت بعدها إلى دورة المياه لأغسل وجهي ومن ثم عدت وعلمنا أن لجنة الشفوي قد دخلت وبدأت بالمجموعة الأولى ، بدأت في الاستذكار مرة أخرى ريثما يتم النداء على مجموعتنا ..

بعد نص ساعة كان دورنا دخلت وقد كان جالسا بينهم ! ماهذا انه يلتفت يمينا ويسارا متحدثا إلى هذا وذاك ؟ كان الأمر صادما بالنسبة لي فهو غير كفيف كما إدعى وأمسك بيدي عن قصد !

بدأ كلا منهم بإلقاء الأسئلة علينا وللأسف بسبب صدمتي ونظراته لي لم أستطع الإجابة على أية سؤال وانتهى وقت المجموعة وأذنوا لنا بالذهاب أصبت بالانهيار من داخلي فهكذا سأرسب حين هممت بالخروج نادى هو بصوته العذب الرجولي ...

=دكتورة ريم ... تفضلي مرة أخرى تبدين متوترة .. والتوتر يعني أنكِ استذكرتي جيدا لكن ظروف الجو وهيبة المعيدين الجدد . تفضلي سيسألك دكتور كريم سؤالين إن أجبتي أخذني الدرجة وإن لم يكن فليس بوسعنا مانقدمه ... (ثم استأذن من أصدقائه المعيدين وذهب لعله يعلم أنه السبب بتوتري وأن مافعله غير لائق)

بالفعل سألني دكتور كريم وقد أجبت إجابات وافية واستحققت درجة جيدة ومن ثم خرجت وقد كانت زميلاتي قد ذهبن فخرجت أنا الأخرى للذهاب

للمنزل قبل أن يسوء الجو أكثر ...

=دكتورة ريم ... دكتورة ريم

-...(التفتت لأجده هو) نعم ..نعم دكتور

=انا آسف بشأن ماحدث في الصباح

-تقصد خداعك يا دكتور ... والله إنه ليصعب عليّ تخيل كونك بهذه المكانة وتفعل فعلة كهذه

=صدقيني بدون قصد مني .. حين رأيتك وقد كان وجهك مبللا كنتِ رائعة الجمال لم أستطع ألا أشبع روحي وبصري منكِ.. وحين انتبه لأمري صاحب السيارة اخترعت هذه الكذبة لأطيل النظر بكل أريحية وحين التقت عيني بعينك والله كأن سهام دخلت في قلبي لذا طلبت منكِ مساعدتي في النزول لألمس يديكِ لأصدق ماأنا فيه .ولم أتخيل أن أراكِ لمرة ثانية ..

-ماهذا ... كيف تغازلني بهذه الطريقة ! لولا مكانتك يادكتور لتصرفت تصرف آخر (أشحت عنه بوجهي لأذهب)

=...(أمسك بمعصمي طالبا مني الإنتظار) ارجوكِ انتظري

-دكتور لا يصح هذا ... حقا لا يصح ... كما أن عملك في لجنة الاختبار لا يتطلب منك أن تتركه وتقف معي هكذا .

تركته وذهبت ورغم ضيقي الشديد منه إلى أن شيئا داخلي كان سعيدا ، ماهذا القدر الذي جمع بيننا بتلك الطريقة الغريبة كانت لذة غريبة تستحوذ عليّ فعقلي يستنكر وقلبي يخفق ويخفق لكن لا فهذه القصة بدأت وانتهت لهذا اليوم فلن أراه مرة أخرى قد كان منتدبا فقط لهذا اليوم بسبب لجنة الشفوي لكن أثره جميلا .

وصلت لمنزلي وانضممت لأسرتي نتناول الحساء الساخن أفضل مايصنع بهذا الجو البارد ليدفئ أجسادنا ولاسيما يدفئ قلوبنا العالقة بأشياء بعيدة ربما لن تحدث مرة أخرى .

لطوال اليوم لم يغب عن بالي نظرته الطويلة قبضته المثيرة صوته العذب محاولته استسماحي كل شيء كان عالقا بالذاكرة وبالقلب ، كان ماحدث يحتاج مني أن أبثه لصديقتي أسماء والتي تقطن بالحي المجاور وقد مضى فترة كبيرة لم نلتقي بسبب انشغال كلا منا بكليته المختلفة عن الاخر فطلبت من أمي الإذن وقد أذنت شرط ألا أتأخر .

فور ذهابي أدخلتني أسماء لغرفتها سريعاً ...

-ماذا هناك أسماء ...

=لا عزيزتي لدينا ضيوف فقط أقارب أمي ... دعكِ من هذا .. لابد وأن مجيئك وراءه الكثير اشتقتك يا ريم ... مضى كثير من الوقت لم نلتقي اخبريني عن حياتك وكليتك

- بخير بخير الحمد لله ... لكن دعكِ من كل شيء فقد حدث معي اليوم شيء جميل غريب

وبدأت أقص عليها ماحدث وعيناي تلتمعان وصوتي سعيد جدا كان واضحا على طريقتي في الحديث أن سهامه هو الآخر اخترقت قلبي ...

=ريم ..ماهذا أوقعتي في حبه .. ولكنه هههههه لكنه حقا مشاكس أعجبني تصرفه

-يبدو رائعا يا أسماء.. لكن من الصعب أن أراه من جديد

=لمّ..

-هم مجموعة معيدين قدمو اليوم كانتداب من جامعتهم بالاسكندرية كلجنة للإمتحانات الشفوية ولن يأتو من جديد و...

قاطعت حديثنا والدة أسماء ودخلت لدعوتنا للجلوس معهم لتناول الحلوى التي قد نضجت لتوها ..

دخلت على استحياء بالغ دون النظر لأحد فعلي اليمين تجلس نساء وعلى اليسار رجال قمت بالسلام على النساء وجلست انا وأسماء إليهم ...

=ريم .. اود أن اخبرك شيئا

-ماذا !

كنا نتحدث بصوت خافت

=اخبرتني لتوك أن من تقصدين هو معيد بصيدلة الاسكندرية وجاء انتداب ليوم واحد مع لجنة وتقابلتما في الطريق الرئيسي الذي يتفرع منه شارعنا وشارعكم

-نعم .. ماذا تقصدين

=اقصد انظري إلى جانبك هل تقصدين دكتور معاذ

-...(نظرت سريعا وكاد يغشى عليّ حين وجدته هو بعينه وقد تمكن بعينيه مني)

استأذنت سريعا بالذهاب بحجة عدم التأخر لانشغالي ببعض المذاكرة لحقت بي أسماء..

-لمّ لم تخبريني قبل دخولنا

=لم انتبه ولم أجمع الكلام وأربطه إلا حين رأيته يطيل النظر بك هائما على وجهه حتى أن الجميع انتبه .. هم هنا من الأمس ووالدته أيضا في زيارتنا هي ابنة عم أمي وانتهزت فرصة مجيء ابنها وأتت معه

ذهبت بعدها مسرعة إلى المنزل الذي يبعد عشر دقائق تقريبا عن منزلنا وكان معاذ قد لحق بي ولم يسأله أحدا عن سبب ذهابه لعلمهم أنه يود اللحاق بتلك الفتاة التي كانت تجلس لتوها وكأن القدر يصر على أن يجمعنا في كل مكان ...

=ريم ...ريم (كان يمشي خلفي يحاول ايقافي وسط ازدحام الشارع والجو هادئ بارد يخلو من المطر)

-...(التفت في هدوء) دكتور معاذ .. ماذا هناك

=أود أنا سؤالك .. ماذا يحدث ..لمّ جمعنا القدر في يوم واحد لثلاث مرات

-لا أعلم .. لكن قد تكون مجرد صدفة

=ليست صدفة يا ريم .. ربما يخبئ لنا القدر شيء آخر

-لا اعتقد يا دكتور .. من بعد اذنك فلا أستطيع الوقوف هكذا وسط عامة الناس مع شخص غريب .

ذهبت بعدها الى المنزل تعتريني سعادة لم يسبق لقلبي أن عرفها وكأنه ايذانا لقلبي ببداية قصة جميلة لم يتخيلها يوما بعد ساعة أرسلت إليّ أسماء برسالة أن معاذ قد أخذ رقمي منها ولا يبدو أنه يريد التسلية فهو شاب مهذب وبالفعل بعد دقائق دق رقم غريب دقت معه دقات قلبي تتقافز متظاهرة بعدم المعرفة بشأن أسماء...

=السلام عليكم

-عليكم السلام ..من المتصل

=ألم تنتبهي لصوتي

-من أنت يا هذا ... أتمزح في وقت كهذا

=أعتذر ... أنا معاذ

-معاذ.. من معاذ

=...(تنهد بعمق)

-اه تذكرت .. اهلا

=ريم ... أنا معجب بكِ صدقيني منذ رأيتك الصباح وأنا لا أفكر بشيء سواكِ .. كأن فيكِ سحر سرى بي فما عدت أعرف شيء سواكي

-ماهذا كله .. أمن يوم واحد تقول هذا .. يبدو أنك محتال كبير ..يكفي مافعلته بي في الصباح لتقنعني بكونك كفيف

=هههههه لا تكوني صاحبة قلب أسود .. لم اقصد وددت أن استمر في النظر إليك

استمرت المكالمة لأكثر من ساعة نتنقل بين موضوع وآخر حتى نمت وأنا اسمعه بعدها تطورت قصتنا كثيرا وبدأ يتحدث إليّ في البداية بحجة المساعدة بمنهجي وهكذا يوم بعد يوم لمدة أسبوعين حتى ذاك اليوم الذي ذهبت به للجامعة وقد دخل الى المعمل هو الآخر في تعجب شديد مني فور رؤيته يرتدي البالطو الأبيض ...

=السلام عليكم .. في البداية أود أن أعرفكم بنفسي أنا دكتور معاذ سأقوم بتدريسكم عملي مادة البايوكمستري لهذا العام .

انتقل معاذ إلى الجامعة ليظل عن قرب وتقرب إليّ اكثر فاكثر حتى صار رفيقا للروح ومؤنسا للقلب وتقدم لخطبتي ومضينا في درب واحد لن يفرق تلك السهام التي اخترقتنا دون إذن وتلك الصدفة التي جمعتنا دون تمهيد وكأن الحب حين يأتي يأتي دون استئذان فهو يشق القلوب شقا ويحتلها حتى يتوطن بها .